الدمـــيم ...

الأستاذ حبيب الزحلاوى

(بقية ما نشر فى العددين الماضيين)

— ٣ —

نمت غرفتى طول النهار التالى ولم أذهب إلى ملحق الفندق إلا بعد ثلاث ليال .

لقيني خصوم الليلة الأولى بل أصدقاؤها بترحاب ملحوظ ، جعلنى أحس كأنهم ينتظرون قدومى ، وغدوت أعاتب إذا تأخرت ليلة عن الحضور .

قيل لى مرة بعد مقدمات وأسئلة عن صاحبى (وقد أطلقوا عليه اسم « ليدرون » تحريفاً لكلمة بالفرنسية معناها « يشع ») بأنه خطب الآنسة « سمسم » من والدتها وهو يجهل طبعاً أنها حفيدة فلان العظيم ، وقد ذكروا اسمه ولقبه ورتبه ، وأن والدتها ردته بلطف . فلم يأبه لردها وأصر على البقاء بقرب « سمسم » وأنه سيعود إلى مصر متى عادت إليها ليفاتح جدها وهو ولى أمرها « بالزواج » . وقالت إحدى الآنسات : نحن منقسمون حيال هذه المسألة إلى قسمين : قسم الآنسات يتنبأ بتحقيق هذا الزواج وسيكون زواجاً سعيداً ، وقسم الرجال يستبعد وقوعه ، فأنت إلى أى جانب يكون انحيازك ؟

قلت : ما ذا كان ردّ الآنسة « سمسم » على خطبتها ؟

قلن : قالت إنها ستقول كلمتها عند ما تعرض المسألة على ولى أمرها .

لم أشأ الانحياز إلى جانب المتنبئات المتفائلات لأنهن أقدر من الرجال على استشعار الرجولة ومعرفة ميول المرأة ، ولم أمل إلى المتشائمين الذين استبعدوا وقوع هذا الزواج بين شخصين يمثلان الشيء وضده ، أى الجمال البادى والدمامة الصارخة ، وقد تحاشيت عمداً إبداء رأى فى صاحبى الذى عرفته فقط يوم وصولى إلى جزيرة « رودس » وقد أعانقنى على هـــذا التحاشى رؤية صاحبى مقبلاً مع فتاته « سمسم » وكأن قلبيهما يدفعان خطواتهما بالرزان فى حين كان فكراهما يسبحان فى جو سماء واحدة .

***

كان من عادتى فى تلك الجزيرة أن أستيقظ عند الفجر أستقبل شروق الشمس حين أكون عند قمة الجبل أمتع النظر بأبهج وأروع ما رأيت من مفاتن يقظة الشمس . وحدث فى صبيحة أحد الأيام ، أنى ما كدت أتخطى عتبة حجرتى حتى تقدم أحد غلمان الفندق فأتى إلى كتاباً فيه دعوة من السيدة والدة الآنسة « سمسم » إلى مقابلتها عند ربوة « النبى إيليا » وهى ربوة ليست بعيدة عن الفندق تكتنفها أشجار الصنوبر وتحجب الجالسين فيها عن الأنظار

سيدة مهيبة الطلعة يبرز وجهها الحافظ لنضارته ولونه كلون ضوء القمر من وسط هالتين من شعر أسود فاحم ، وثوب أسود يستر أكثر أجزاء الجسم ، هذه السيدة والدة « سمسم » هى التى دعتنى للكلام معها فى حادث صديق .

شرحت لتلك السيدة المحترمة العاقلة مبلغ معرفتى بصاحبى الدكتور واعترفت لها بأن لا سلطان لى عليه إلا حق دعوته إلى الاصطبار والتريث ريثما ينقضى فصل الصيف ونعود إلى مصر .

قالت : أخشى أخباراً تتسرب إلى مصر تنقل عرفة فيتقول الأشرار عن العائلة ما لا ترضاه ، ودعتنى بإلحاح إلى معاونتها فى إقصاء صاحبى عن ابنتها التى شهدت بطيبة قلبه وكريم شمائله كما ستعمل هى من جانبها على ردع ابنتها بالحسنى عن التمادى فى صداقة رجل لم تعرفه بعد .

لم يكن فى وسعى استجابة طلب السيدة وقد أدركت من كلامها أنها وإن كانت غير راضية عن صلة ابنتها بالرجل ولكنها غير غاضبة عليها ، وقد صارحتها الرأى قائلا بأنى لا أطيق أن أباعد بين قلبين يتدانيان ، ولا أعمل مطلقاً على نصب حواجز بينهما . وقد شعرت عند تركى إياها بأنها مقدرة موقفى وتصرفى .

مدت يدها لوداعى ، فقبلت تلك اليد ووددت لو ألصق شفتى بظهر كفها طويلاً لإبلاغها مدى احترامى لها وإكبارى إياها .

السيدة جميلة تستر جمالها بالحزن ، حدثتنى عن ابنتها الوحيدة بلسانين من العاطفة الحنون والعقل الراجح . إنما هى محزونة

مفجوعة ، لا بزهرة من زهرات الحب ، بل ببادر بذور الحب ، بزوجها وهي الوفية لعهده بعد الموت . هي أم ترضى لابنتها زوجاً له بعض مزايا المرحوم زوجها في الانكباب على قراءة الكتب .

***

لم يعد صاحبي في حاجة إليّ ولا إلى كتبه فقد تركها لي هدية المستغني ، ولم يكن ظرفي الخاص يبيح لي الاندماج بنزلاء ملحق الفندق وجلهم أعزب دأبه التصابي والتغازل .

كم من العسير ياصاحبي على شاب ألجم بالزواج في سن مبكرة قبل أن يتفتق ذهنه للحياة ! وكم تكون الحياة هزيلة في نظره إذا داهمته بالبنين قبل أن يستد ساعده للكفاح ! وكم تكون قيود العرف وأغلال العادة ثقيلة على قلبه إذا ألزم نفسه التقيد بها والخضوع إليها ؟ هكذا كان حالي بين نزلاء ذلك الفندق .

أصخت لنداء الواجب يهيب بي أن أعود إلى زوجتي وأولادي ، فلبيت . جمعت حوائجي في حقائبي وركبت سيارة أوصلتني إلى ميناء الجزيرة ومنه ركبت البحر إلى الأسكندرية .

صمتّ هنيهة ريثما أسترجع وأشعل لفافة تحرض الذهن على الصفاء والاستذكار وإذا بالمنصت إلى حكايتي يسألني بلسان الرجل الخبيث ولهجة المستحث « ثم ماذا » ؟

ابتسمت لسؤاله ابتسامة غابت عليه معانيها وقلت : انصرمت أعوام ثلاثة لم أر صاحبي الدميم في غضونها ، ولم أسمع إلا خبراً واحداً نشرته الصحف وهو خبر استقالته من الجامعة وانصرافه إلى أعماله الزراعية . لقد أكبرت هذه التضحية من دكتور يدرّس في الجامعة في سبيل الاستقلال والحرية ، فإن كثيراً من الناس يؤثرون عبودية الوظيفة وقيود النفس على الحرية .

***

حدث في مساء أحد الأيام ، وأذكر جيداً أنه كان في اليوم الثاني والعشرين من شهر ديسمبر ، أني لقيت مصادفة رجلا يشبه صاحبي الدميم في متجر شيكوريل ولكنه لم يكن دميماً ، ولا أمرط الحاجبين ، وليس بأعمش أحمر الجفون ، إنما كانت ندبات الجدري وأثر الجراح في عنقه باقية كما عرفتها .

زالت حيرتي بإقبال الرجل عليّ يحييني بمودة واشتياق ، وقال مداعباً : لم يعد منظري يفزعك لأني أتقنت « التواليت » أليس كذلك ؟

قلت : من هو ذاك الفنان البارع الذي جعل من « الفسيخ شربات » ؟

قال : هي

هيَ من ؟

تلك التي وجدتها في رودس

أتعني « سمسم » .

هي بعينها .

هل عند « سمسم » دالون « مكياج » ؟

ضحك صاحبي وقال : لا داعي الآن إلى إطالة الكلام ، سنطلعك الليلة على كل شيء .

قلت : نون المتكلمين تعني من ؟

قال : دع التشوف وحب الاستطلاع فإن هذه الليلة تعرف كل شيء تهمك معرفته ويسرك خبره ، أما الآن فأنت أسيري ولن يطلق سراحك إلا بعد أن ينتصف الليل ! أفهمت ، أنت أسيري فلا داعي إلى السؤال ولا إلى الجدل أو الاحتجاج .

وقفت كالمبهوت ريثما ابتاع صاحبي حاجته من المتجر ، وتزايدت دهشتي وقتما دعاني إلى ركوب سيارته ولقد لقيتها تشغل نصف شارع فؤاد الأول عرضاً ، وقد درجت بنا إلى بيته وهو «فيلا» جميلة في الجزيرة تحفها حديقة باسقة الأشجار، أما الدهشة الكبرى فهي تلك التي اعترتني حين مقابلتي « سمسم » وجهاً لوجه واندفاعها نحوي تحييني بلهفة ومحبة كما لو كنت أخاها .

لم تعد « سمسم » تلك الفتاة النحيفة الضامرة التي عرفتها في فندق « شيفرو » تقفز بين أشجار الصنوبر كالغزال ، بل اكتمل جسمها واعتدل قدها ، وبرزت أنوثتها كأحلى ما تكون في المرأة

قالت وقد أخذت بيدي بيدها تعال أرك منزلنا وقد تعاونت وزوجي على تنسيق أثاثه وترتيبه ، ثم أحدثك كيف تمّ زواجنا .

مشيت معها أتفرج على حجرات « الفيلا » المنسق فرشها ببراعة وذوق فني ، ووقفنا طويلا في غرفة المكتب وهي عامرة بآلاف الكتب فقالت .

هذه الخزائن (الدواليب) خاصة بكتب الزراعة فلا أقرب منها لأنه لا شأن لي بها ، وهذه الرفوف للكتب التي أشترك مع زوجي في مطالعتها وكثيراً ما نجلس في حديقتنا ، كما كنت أنت تجلس معه في رودس ... تقرآن ، وكنت أنا والبنات أراني نراقبكم من بعيد فنضحك من اجتماع ... النقيضين .

قلت : أي نقيض بين زوجك وبيني ؟

قالت : إهمال مطلق من ناحية زوجي في هندامه وزيّه ،

وإصلاح ... رأسه ووجهه يقابله عناية تامة من ناحيتك فى كامل مظاهرك .

فتح الباب فى هذه اللحظة ودخل منه زوجها يحمل رأسه الأصلع وحاجبيه الأسطين اللذين قلّ الشعر فيهما ، يلبس سروالاً قصيراً وقد برزت ساقاه الشعراوان ، ينتعل حذاء سميك النعل ، وفى يده عصاً كأنها جذع شجرة وقال : « هكذا كنت » .

قلت للسيدة « سمسم » وأنا كالفزع : كيف تخلصت من هذه الدمامة الصارخة ؟

قالت وهى تبتسم : علمته صناعة « التواليت » ثم التفتت إلى زوجها الذى كان يقفز كالقرد ويأتى بأشارات مضحكة وحركات طفلية وقالت له .

أتقنت تمثيل دورك كما كنت فى رودس فاذهب وغيّر هندامك استعداداً للعشاء .

قال محتجاً : لا عشاء قبل « الأبريتيف » .

قالت : هو ذاك مقبلات شهية .

عدنا إلى الصالة وكانت الدهشة ما زالت تغشانى ، فلما جلسنا قالت لى السيدة « سمسم » : لقد تم زواجنا على خير ما رمت . اقتنعت والدتى برضاى عن الرجل الذى انفتحت له مغاليق قلبى فقبله شريكا لحياتى ، ثم أظهرت مثل هذا الرضى للمرحوم جدى الذى كان ولى أمرى ، ولم يعترض إلا على مسألة واحدة حل عقدتها زوجى العزيز بالانتساب إلى دينى ؛ وأصارحك بأنى ما كنت لآبه لمثل هذا الأمر أو أعيره التفاتى لولا أحكام الشريعة ، أحكام الدين المنزل من عند الله ، ولم نراع دين الحب الذى هو الله .

صمتت هنيهة ثم قالت : أحس فى أعماق أن الأديان كلها تستمد قوتها من روحانية الإنسانية ، فلمَ لا نكون كلنا إنسانيين فى الزواج وهو روحانى فى الأصل ثم غريزى فاجتماعى ؟ !

ثم قالت : اتفقت وزوجى على أن ندع ولدنا على طبيعته يختار سبيلاً يواتم عقله ويتفق مع روحانيته وقد آلينا على أنفسنا رعايته كانسان ، وهكذا نكون قد نقضنا أيدينا من المشكلة الاجتماعية التى سوف تحلّ عقدها الأجيال المستنيرة المقبلة بعد أن بذرنا بذورها ! ؟

أقبل الزوج لابساً بدلة « سموكنج » فقامت السيدة ولم يطل غيابها ، وقد عادت بعد أن نضت ثياب البيت واستبدلت بها ثياب السهرة وقد برزت هى وزوجها كالانجليز الاستقراطيين ، وإذ كنا فى طريقنا إلى غرفة المائدة قال لى الزوج متداعبا : انظر كيف تمثل أنت الدمامة بهندامك كما كنت أنا أمثلها بوجهى ورأسى وقتما تعارفنا فى رودس !

كان حديثنا ونحن على مائدة الطعام يدور حول الدمامة والحسن وقد اختلفت كما تنوعت وجهات نظرنا فى تعريفها ، وقد كانت السيدة « سمسم » أقدر منا وأصدق فى الحكم عليها من وجهة نظر المرأة فقالت .

الدمامة هى فى الوجه الميت والحسن فى الوجه الحى ، فالوجه الذى تموت فيه التعابير وتنطفئ فيه معانى النفس هو وجه دميم برغم تناسب قسماته ؛ أما الوجه المعبر الذى تبرز فيه كل المعانى النفسانية فهو الوجه الحسن برغم التنافر فى قسماته .

أما الجمال ، وإن كان تعريفه نسبياً ، واختلاف النظر اليه واجب بوجوب تنوع الأذواق والميول ، فهو فى نظر المرأة رجولة فى القسمات ، رجولة فى الصوت والحركة والإشارة ، رجولة فى البيت فى الأمور وفى تصريفها . ولا شأن لى فى وجهة نظر الرجل فى تعريف جمال المرأة ، لأن أكثر الرجال لا يعرفون ما هو الجمال ! والجمال فى المرأة سر بل أسرار لا يعرفها معرفة حقيقية إلا الخبثاء من الأدباء والشعراء ورجال الفن .

ضحكت وصديقى ضحكة الرضا عن تفسير هذه السيدة معانى الجمال على هذا الشكل البارع ، وأخذنا نشرب ونأكل . وإذ كنت فى طريقى إلى البيت كنت أحس بأنى سكران أترنح من الفرح ، وما برحت يا صاحبى أزور هذه الأسرة السعيدة لأفرح بمشاركتها فى عيدها فى الليلة الثانية والعشرين من شهر ديسمبر من كل عام .

* * *

نظرت إلى صاحبى نظرة طويلة ساهمة ، ثم مد يده فصافحنى وانصرف دون أن يقول كلمة واحدة . وبعد ليلة جاءنى هذا الشاب وكل قسماته تطلب الاستفهام والاستيضاح وقبل أن يسلم علىّ قال :

أستاذى المحترم ، أين عقدة القصة وكيف حللتها ؟ لقد أذهلتنى عن العقدة فبربك أرشدنى اليها .

قلت وقد تململت جفوة للتشرّد ، اذهب إلى الدميم ، بل اذهب وسل « سمسم » إذا شئت .

حبيب الزحلاوى

إعلان بيع

أنه فى يوم الثلاثاء الموافق ١٠ يولية سنة ١٩٤٥ الساعة ٨ صباحا بناحية ساحل الجوابر مركز الشهداء منوفية تلا .

سيباع بالمزاد العلنى عدد ١ جاموسة ، بقرة حمراء ، عدد ١ أردب فول غير مجروش ، سرير حديد وأردب أزره شامى ، نورج خشب كامل الأدوات سليم ، اثنى عشر أردب قمح تقريباً وثمانية أحمال تبن تقريباً . وخلافه موضحه بمحضر الحجز التنفيذى الموقع بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٤٥ نفاذاً للحكم ن ١٣٣٦ سنة ١٩٤٥ كلى مصر وقاء لمبلغ ٤٦ مليم و٢٢٩ جنيه مصرى قيمة المحكوم به بخلاف المصاريف تعاب والفوايد بواقع ٨ ٪ من المطالبة الرسمية حتى تمام السداد المملوكة إلى محمد أحمد هاشم الشريف إلزارع ساحل الجوابر مركز الشهدا

وهذا البيع كطلب الشيخ عبد السلام هاشم الشريف صاحب مقهى بشبرا البلد وبحله المختار مكتب حضرة الأستاذ محمد صادق المحامى بشبرا البلد .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين بعاليه . ومن يرسى عليه المزاد يدفع الثمن فوراً والإيعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق

إعلان بيع

أنه فى يوم الأحد الموافق ١٤ أربعة عشر يولية سنة ٩٤٥ من الساعة الثامنة أفرنكى صباحا وما بعدها بعزبة الصباع بزمام شويك أكراش مركز ههيا شرقية

سيباع بطريق المزاد العلنى زراعة ٥/٨ ١٥ س٣ ط ٢ ف شائع فى محصول سبعة أفدنة قمح مشاعة فى ١ س ٥ ط ١٧ ف بحوض الكبيرة نمرة ٣ قطعة ضمن نمرة مكرر محدوده من بحرى سكة حديد الدلتا من والى ديرب نجم الإبراهيمية والغربى زمام ناحية أكراش مركز السمبلاوين وبعضه إبراهيم العطار بالقطعة نمرة ١ وفاصل جسر بحر الخنوس والشرق أطيان ورثة الشيخ سالم عبيد الحضرى وفاصل مسقة وينتج من الفدان عدد أثنين أردبين قمح وحملين تبن وهذه الزراعة تعلق الخواجة سامى أسبيروا من الناحية المذكورة السابق توقيع الحجز التنفيذى عليها بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٤٥ تنفيذاً للحكم الصادر فى القضية رقم ٦٢٦ سنة ٩٤٣ كلى الزقازيق وفاء لمبلغ ٩١٣ مليم ٣١٧ جنيه بخلاف مايستجد من المصاريف وأجرة النشر

وهذا البيع بناء على طلب حضرة الخواجة هنرى بيكلف ناظراً على وقف الست فكتويا شديد ومقيم بعزبة الوقف بزمام القنايات مركز الزقازيق ومتخذاً له محلا مختاراً بالزقازيق مكتب حضرة الأستاذ إبراهيم سعيد المحامى .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين أعلاه

طالب البيع

للمزايدة